الاحتجاج بالحديث الشريف 166
بشار يلد و ابو تمام ايام المهتدي

دراسات
في العربية وتاريخها

لفضيلة الاستاذ الأكبر

محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الأزهر
وعضو المجمع اللغوي في القاهرة
والمجمع العلمي العربي في دمشق

أبحاث الكتاب

القياس في اللغة ـ حياة اللغة ـ الاستشهاد بالحديث ـ التضمين ـ تيسير وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها ـ حول تبسيط قواعد النحو والصرف والرد عليها ـ الامتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع .

الناشر

المكتب الإسلامي
دمشق ـ ص.ب ٨٠٠
شارع الحلبوني

مكتبة دار الفتح
دمشق ـ ص.ب ٤٧٥
شارع سعد الله الجابري

الطبعة الثانيـة

١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة : بقلم الاستاذ العلامة محمد بهجة البيطار

كان من حكمة الله تعالى ورحمته أن يسّر لنا معشر طلاب العلم — بعد وفاة شيخنا علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي — إماماً حكيماً ألا وهو أستاذنا الشيخ محمد الخضر حسين (رحمهما الله تعالى ورَضي عنهما) فقد شملنا بعنايته بعد وفاة صديقه القاسمي (١٣٣٢ هـ) ، وخيّرنا فيما نُحبُّ أن نقرأه من العلوم والفنون والكتب ، فكان أن وقع اختيارنا — بتوجيهه وإرشاده — على كتاب المستصفى في أصول الفقه لحجة الاسلام الغزالي ، وكتاب بداية المجتهد للفيلسوف ابن رشد في فنّ الخلاف ، وصحيح الإمام مسلم في علم الحديث ، والمغنى في العربية لشيخ النحاة ابن هشام ، والكامل في الأدب للمبرّد ، فتولى شيخنا قراءة هذه الكتب على أفضل طريقة ، وأنشأ تعليقات مهمّة عليها ، يصحُّ أن تكون مرجعا فيما يُشكل على الباحث في مطالبها المنوّعة ، ومقاصدها العليا . وقد نظمت أبياتا في ذلك العهد في شأنها ، وقرأتها على أستاذنا الخضر والطلاب في جلسة الدّرس ، فأعجبته ، (عليه الرحمة والرضوان) من حيث كونها تاريخا لمجتمعنا ، وقراءتنا عليه ، وقدّمت إليه نسخة منها ، وها هي ذي :

يا سائلي عن درس ربِّ الفضل مولانا الإمام
ابن الحسين التونسيِّ محمد الخضر الهمام
سل عنه مستصفى الأصول لليث معترك الزّحام
اعني الغزاليَّ الحكيمَ رئيس أعلام الكلام
وكذاك في فنِّ الخلاف بداية العالي المقام

اعني ابن رشد من غدا بطل الفلاسفة العظام
وكذلك المغني إلى شيخ النحاة ابن الهشام
وكذا كتاب أبي يزيد ابن المبرّد في الختام
تلك الدروس كما الشموس تنير أفلاك الظلام
فتكون منك حقائق المعنى على طرف الثمام
فالحق عوضنا به من شيخنا شيخ الشآم
وكذا صحيح أبي حسين مسلم حبر الأنام
فعليه ما ذرّ الغزالة رحمة الملك السّلام •

وقد أشار أستاذنا الجليل في مقدمة هذا الكتاب إلى دراستنا إياه عليه ، وإلى اقتراحنا جمع أصوله المفرّقة ، والى استجابته لنا بقوله (رحمه الله رحمة الأبرار) : واستخدمت القلم في تحرير مطلبهم ، فألفت مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصّل شروطه ، وتدلّ على مواقعه وأحكامه ، وقد كتبتُ على هذه الرسالة في عهده ، وأطلعته على كلمتي فيها ، فراقته ، وأذن لي بنشرها ، وها هي ذي بنصّها :

القياس في اللغة العربية :

أورد المؤلف لهذا الكتاب مقدمات في فضل اللغة العربية ، ومسايرتها للعلوم والمدنية ، وحالها في الجاهلية ، وارتقائها في الإسلام ، وجعله إياها لغة للشعوب ، وبحث في وجه الحاجة إلى إنشاء مجمع لغوي ليرفع لواء اللغة العربية في الشرق والغرب ، ثم بعد أن مهد المؤلف تمهيداً بيّن فيه حاجتنا إلى القياس في اللغة ، عقد فصلاً ممتعاً تحت عنوان « أنواع القياس ، وما الذي نريده من بحثه في هذه المقالات » استهله بقوله : تجري كلمة القياس عند البحث في معاني الألفاظ العربية وأحكامها ، فترد على أربعة وجوه :

(١) حمل العرب أنفسهم لبعض الكلمات على أخرى ، وإعطاؤها حكمها لوجه يجمع بينهما •

(٢) أن يعمد إلى اسم وضع لمعنى يشتمل على وصف يدور معه الاسم وجوداً وعدما ، فتعدي هذا الاسم إلى معنى آخر تحقق فيه ذلك

الوصف ، وتجعل هذا المعنى من مدلولات ذلك الاسم لغة ، ومثال هذا اسم (الخمر) عند من يراه معتصراً من العنب خاصة •

(٣) إلحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كصيغ التصغير والنسب والجمع •

(٤) إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها في نوعها ، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه ، كما أجاز الجمهور ترخيم المركب المزجي قياساً على الأسماء المنتهية بتاء التأنيث • ثم قال — بعد أن بسط القول في هذه الأقيسة الأربعة التي أوردنا منها ما يدل عليها — « وهذا النوع من القياس والذي قبله — أي الثالث والرابع — هما موقع النظر ، ومجال البحث في هذه المقالات ، واخترت للفرق بينهما التعبير عن الأول بالقياس الأصليّ ، وعن الثاني بقياس التمثيل » •

وقد ذكر في القياس الأصلي ما يحتج به في تقرير أصول اللغة ومفرداتها ، وألقى في القياس في صيغ الكلم واشتقاقها نظرة على المصادر والأفعال ومشتقاتها ، كاسمي الفاعل والمفعول وأفعل التفضيل •

وقد استشهد بكلام المحققين على الاحتجاج بالكتاب العزيز ، وفصّل القول في القياس على الحديث الشريف ، ثم عقد فصلا مهما في الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وتصرف العرب فيها ، وأخذهم منها أفعالاً في أوزان مختلفة ، وأسماء فاعلين ومفعولين • وذكر منها اشتقاق الفعل من أسماء الأعيان لإصابتها أو إمالتها (قلت : لعله أو إنالتها ، بالنون كما ذكره من بعد ، ومثّل بنحو : شحمه ولحمه : أطعمه ذلك • ص ٦٩) •

وجاء بعده فصل عنوانه « ما هو الاستقراء الذي قامت عليه أصول الاشتقاق » وقد حقق فيه أن الأفعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق على نوعين :

(١) منها ما لم يتصرفوا فيه على كثرة وروده في محاوراتهم ومخاطباتهم مثل : ويل ، وويح ، ونعم ، ويذر ، وما يماثلها ، فيجب أن تبقى على هيئتها بدون اشتقاق منها ، ولا أدنى تصرف فيها •

(٢) ومنها ما لا يكثر في مخاطباتهم حتى يستفاد من وروده بهيئة واحدة أنهم قصدوا إلى ترك تصريفه ؛ فيصح لنا أن نجري قاعدة الاشتقاق في هذا النوع ، وإن لم ندر أن العرب تصرفوا فيه على هذا الوجه من الاشتقاق ، كاشتقاق فعل واسم فاعل مما سمع مصدره ، أو إحداث مصدر لفعل مسموع مثلا • ثم أنشأ فصولا قصيرة وغير قصيرة ، في أنواع الأقيسة الكثيرة ، كأقيسة التمثيل والشبه والعلة ، وأقسام علة القياس ، وأقسام قياس العلة ، وشرط صحة قياس التمثيل ، ومباحث مشتركة بين القياس الأصلي والقياس التمثيلي ، والقياس في الاتصال ، وفي الترتيب ، والفصل والحذف ، ومواقع الإعراب ، وشرط العمل ، والقياس في الأعلام ، ثم ختم الكتاب باقتراح الأستاذ المغربي في الكلمات غير القاموسية ، وجوابه على هذا الاقتراح •

وقد بحث الأستاذ في هذه الفصول جميعها بحث الناظر المستقل المستدل ، فبين في كل منها ما يقبل وما يرد ، وما يقاس عليه وما لا يقاس ، ومذهبه وسط بين المعجميين الذين يجمدون على السماع فيما يمكن إجراء القياس فيه لاستيفاء شروطه ، وبين من يفتاتون على اللغة فيشتقون من عندهم أقيسة لا تستند إلى نصوص لغوية ، ولا قواعد عربية من صرفية أو نحوية ؛ ومن هذه الرسالة يعلم أن المعاجم اللغوية وحدها لا تفيد معرفة الأسس التي ينبني عليها القياس الصحيح من غيره ، لأنها لم توضع لذلك ، بل لابد من الجمع بين معرفة النصوص ، ودراسة القواعد والأصول التي تشتق منها الفروع ، وتجري على مقتضاها الأحكام •

هذا ما كتبته في موضوع العلامة الإمام ، عليه من الله الرحمة والرضوان • والسلام •

دمشق في ٢٨ ذي الحجة ١٣٧٩
٢٢ حزيران ١٩٦٠

محمد بخيت البيطار

دراسات
في العربية وتاريخها

لفضيلة الأستاذ الأكبر

محمد الخضر حسين
شيخ الجامع الازهر
وعضو المجمع اللغوي في القاهرة
والمجمع العلمي العربي في دمشق

أبحاث الكتاب

القياس في اللغة ـ حياة اللغة ـ الاستشهاد بالحديث ـ التضمين ـ تيسير وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها ـ حول تبسيط قواعد النحو والصرف والرد عليها ـ الامتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع .

جمعه وصححه
علي الرضا التونسي

الناشر

المكتب الإسلامي
دمشق ـ ص.ب ٨٠٠
شارع الحلبوني

مكتبة دار الفتح
دمشق ـ ص.ب ٤٧٥
شارع سعد الله الجابري

الطبعة الثانيـــة

١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م

حقوق الطبع محفوظة

محمد الخضر حسين

١٨٧٤ — ١٩٥٨ م

● ولد في بلدة « نفطة » بالقطر التونسي عام ١٨٧٤ ميلادي .

● لما بلغ من العمر الثانية عشرة ، انتقـل مع والده الى العاصـمة تونس ، والتحق بالجـامع الزيتوني ، أرقى المعاهد الدينيـة ، وحصل منه على الشهادة العالمية في العلوم الدينية والعربية .

● أصدر مجلة « السعادة العظمى » وأغلقتها سلطات الاستعمار الفرنسي ، ثم تولى القضاء في مدينة بنزرت حتى عام ١٩٠٥ ، وترك القضاء الى التعليم ، وعين مدرسا للعلوم الدينيةوالعربية في الجامع الزيتوني ، كما تولى التدريس في مدرسة « الصادقية » بتونس .

● حكم عليه بالاعدام لاشتغاله في السياسية ، ودعوته الى النضال ضد فرنسا ، فهاجر الى دمشق مع عائلته ، واقام فيها مدة طويلة، تولى في مطلعها التدريس ، ثم عين محررا في ديوان وزارةالحربية التركية ، وسافر مرتين الى المانيا بمهمة رسمية من قبل انور باشا وزير الحربية .

● رحل الى مصر لاجئا سـياسيا عام ١٩٣٢ ، فرارا من ملاحقـة فرنسا واستلم رئاسة تحرير مجلة « نور الاسلام » التي يصدرها الازهر ، وعين مدرسا للفقه في « كلية اصول الدين » ثم استاذا